□ عُلُوُّ الهِمَّة في الشُّكـر □

يا مَن عزم على السفر إلى الله والدار الآخرة ، قد رُفع لك علم فشمّرْ إليه فقد أمكن التشمير ، واجعل سيْرَك بين مطالعةِ منَّته ومشاهدة عيْب النفس والعمل والتقصير ، فما أبقى مشهد النعمة والذنب للعارف من حسنة،يقول : هذه مُنجيتي من عذاب السعير . ما المعوَّل إلّا على عفوه ومغفرته ؛ فكلُّ أحدٍ إليها فقير . أبوء لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي .

ما تساوي أعمالك – لو سَلِمَتْ ممَّا يُبطلها – أدنى نَعِمه عليك ، وأنت مُرتهن بشكرها من حين أرسل بها إليك ، فهل رعيتها بالله حقَّ رعايتها وهي في تصريفك وطوْع يديك ؟! فتعلَّق بِحَبْل الرجاء ، وادخل من باب العمل الصالح ؛ إنه غفور شكور .

نهج للعبد طريق النجاة وفتح له أبوابها ، وعرَّفه طُرُق تحصيل السعادة وأعطاه أسبابها ، وحذَّره من وبال معصيته وأشهده على نفسه وعلى غيره شؤمها وعقابها ، وقال : إن أطعت فبفضلي وأنا أشكر ، وإن عصيت فبقضائي وأنا أغفر ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكورٌ** ﴾ .

أزاح عن العبد العلل ، وأمره أن يستعيذ مِن العجز والكسل ، ووعده أن يشكر له القليل من العمل ، ويغفر له الكثير من الزَّلل ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفور شكور** ﴾ .

أعطاه ما يُشكر عليه ، ثم يشكُرُه على إحسانه إلى نفسه لا على إحسانه إليه ، ووعده على إحسانه لنفسه أن يُحسن جزاءَه ويقرِّبه لديه ، وأن يغفر له خطاياه إذ تاب منها ولا يفضحَه بين يديه ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكورٌ** ﴾ .

وثقت بعفوه هفوات المذنبين فوسعتها ، وعكفت بكرمه آمال المحسنين فما قطع طمعها ، وخرقت السَّبْعَ الطِّباق دعواتُ التائبين والسائلين فسمِعَها ، ووسع الخلائق عفوُه ومغفرتُه ورزقُه ؛ فما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقُها ويعلمُ مستقرَّها ومستودَعَها ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكورٌ** ﴾ .

يجودُ على عبيده بالنوافل قبل السؤال ، ويُعطي سائله ومؤمِّله فوق ما تعلَّقت به منهم الآمال ، ويغفر لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبُه عدد الأمواج والحصىٰ والتراب والرمال ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكورٌ** ﴾ .

أرحمُ بعباده من الوالدة بولدها ، وأفرحُ بتوبة التائب من الفاقد لراحلته - التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة - إذا وجدها ، وأشكرُ للقليل من جميع خلقه ؛ فمَن تقرَّب إليه بمثقال ذرَّة من الخير شكرها وحمدها ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكورٌ** ﴾ .

تعرَّف إلى عباده بأسمائه وأوصافه ، وتحبَّب إليهم بحلمه وآلائه ، ووعد من تاب إليه وأحسن طاعته بمغفرة ذنوبه يوم لقائه ؛ ﴿ **إنَّ ربَّنا لغفورٌ شكورٌ** ﴾.

السعادةُ كلُّها في طاعته ، والأرباحُ كلُّها في معاملته ، والمِحَن والبلايا كلُّها في معصيته ومخالفته ، فليس للعبد أنفع من شكره وتوبته ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكورٌ** ﴾ .

أفاض على خلقه النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذي كتبه : أنَّ رحمته تغلب غضبه ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكورٌ** ﴾ .

يُطاع فيشكر وطاعته من توفيقه وفضله ، ويُعصى فيحلُم ومعصية العبد من ظلمه وجهله ، ويتوب إليه فاعل القبيح فيغفر له ، حتى كأنه لم يكن قطُّ من أهله ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكور** ﴾ .

الحسنة عنده بعشر أمثالها أو يضاعفها بلا عددٍ ولا حسبان ، والسيئة عنده بواحدة ومصيرها إلى العفو والغفران ، وباب التوبة مفتوح لديه منذ خلق السموات والأرض إلى آخر الزمان ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكور** ﴾ .

بابه الكريم مناخ الآمال ومحطُّ الأوزار ، وسماء عطاه لا تقلع عن الغيث بل هي مدرار ، ويمينه ملأى لا تغيضها نفقة سحَّاء الليل والنهار ؛ ﴿ **إن ربَّنا لغفورٌ شكور** ﴾ .

الله عز وجل هو الشكور على الحقيقة :

« والله عز وجل أولى بصفة الشكر من كلِّ شكور ، بل هو الشكور على الحقيقة ؛ فإنه يعطي العبد ويوفِّقه لما يشكره عليه ، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقلّه أن يشكره ، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعافٍ مضاعفة ، ويشكر عبده بقوله بأن يُثني عليه بين ملائكته وفي مَلَئه ، ويُلقي له الشكر بين عباده ويشكره بفعله ، فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه ، وإذا بذل له شيئًا ردَّه عليه أضعافًا مضاعفة ، وهو الذي وفَّقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك .

ولمَّا عقر نبيُّه سليمان الخيل غضبًا له إذ شغلتْه عن ذكره ، فأراد أن لا تشغله مرة أخرى ؛ أعاضه عنها متْن الريح. ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته ؛ أعاضهم عنها أن ملَّكهم الدنيا وفتحها عليهم .

ولمَّا احتمل يوسف الصديق ضيق السجن ؛ شكر له ذلك بأن مكَّن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء .

ولمَّا بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزَّقها أعداؤه ؛ شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرًا خضرًا أقرَّ أرواحهم فيها ؛ تَرِدُ أنهارَ الجنة ، وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث ، فيردُّها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه .

ولما بذل رُسُله أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسبُّوهم ؛ أعاضهم من ذلك بأن صلَّى عليهم هو وملائكته ، وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه ، فأخلصهم بخالصةٍ ذكرى الدار .

ومن شكره سبحانه : أنه يجازي عدوَّه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا ، ويخفِّف به عنه يوم القيامة ؛ فلا يُضيِّع عليه ما يعمله من الإحسان ، وهو من أبغض خلقه إليه !!

ومن شكره : أنه غفر للمرأة البغيّ بسقْيها كلبًا كان قد جهده العطش حتى أكل الثرى ، وغفر لآخر بتنحيته غصْن شوكٍ عن طريق المسلمين .

فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه ، والمخلوق إنما يشكرُ من أحسن إليه . وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يُحسن به إلى نفسه ، وشكره على قليله بالأضعاف المضاعفة التي لا نسبة لإحسان العبد إليها . فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر . فمَن أحقُّ باسم الشكور منه سبحانه ؟!

ومن شكره سبحانه : أنه يُخرج العبد من النار بأدنى ذرَّة من خير ، ولا يُضيِّع عليه هذا القدْر .

ومن شكره سبحانه : أن العبد من عباده يقوم له مقامًا يُرضيه بين الناس ؛ فيشكر له ، ويُنَوِّه بذكره ، ويُخبر به ملائكته وعباده المؤمنين . كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام ، وأثنى عليه ، ونوَّه بذكره بين عباده . وكذلك شكره لصاحب يسٓ مقامه ودعوته إليه ، فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك »[1].

---

(١) عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص٢٧٩ - ٢٨٠ .

فمن علم أن الربّ شكور تنوَّع في معاملته ، ومن عرف أنه واسع المغفرة تعلّق بأذيال مغفرته ، ومَن تعلّق بصفة من صفاته أخذته بيده حتى تُدخله عليه ، ومن سار إليه بأسمائه الحسنىٰ وصل إليه ، ومن أحبَّه أَحبَّ أسماءه وصفاته وكانت آثر شيء لديه .

ولمَّا كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة ؛ كان أحبَّ خلْقه إليه من اتَّصف بصفة الشكر .

فهلُمُّوا إلى سيِّدكم ومولاكم ؛ فحياة القلوب في معرفته ومَحَبَّته . وكمال الجوارح في التقرُّب إليه بطاعته ، والقيام بخدمته . والألسنة بذكره ، والثناء عليه بأوصاف مدحته . فأهل شكره أهل زيادته ، وأهل ذكره أهل مُجالسته ، وأهل طاعته أهـل كرامته ، وأهل معصيته لا يُقنِّطهم من رحمته ؛ إن تابوا فهو حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم ؛ يبتليهم بأنواع المصائب ؛ ليُكفِّرَ عنهم الخطايا ويُطهرهم من المعائب .

فالحمد لله ربِّ العالمين ، حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه ، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله ، حَمدًا يملأ السموات والأرض وما بينهما، وما شاء ربُّنا من شيءٍ بعد بمجامع حمده كلِّها، ما علمنا منها وما لم نعلم ، على نعمه كلِّها ، ما علمنا منه وما لم نعلم ، وعدد ما حمد الحامدون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، وعدد ما جرى به قلمه ، وأحصاه كتابه ، وأحاط به علمه .

فضـــل الشكـــر :

منزلة الشكر من أعلى المنازل ، وهي فوق منزلة « الرضا » وزيادة ، وأيُّ مقام أرفع من الشكر ، الذي يندرج فيه جميع مقامات الإيمان ، حتى المحبة والرضا والتوكُّل ؟! فإنَّ الشكر لا يصحُّ إلا بعد حصولها . وتالله ليس لخواصِّ

أولياء الله وأهل القُرْب منه سبيلٌ أرفع من الشكر ولا أعلى .

فقد قرن الله تعالى ذكره بالشكر مع أنه قال : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾. وكلاهما هو المراد بالخلق والأمر ، فقال تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون** ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقرن سبحانه الشكر بالإيمان ، فقال تعالى : ﴿ **ما يفعل اللهُ بعذابكم إن شكرتُم وآمنتم ...** ﴾ الآية . [النساء : ١٤٧] .

وأخبر بقلّة أهله في العالمين ، الدالَّة على أنهم هم خواصُّه ، كما قال تعالى : ﴿ **وقليلٌ من عبادِيَ الشكور** ﴾ [سبأ : ١٣] .

وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنَّته عليهم من بين عباده ، فقال : ﴿ **وكذلك فتنَّا بعضَهم ببعضٍ ليقولوا أهؤلاء مَنَّ اللهُ عليهم مِن بيننا أليس اللهُ بأعلمَ بالشاكرين** ﴾ [الأنعام : ٥٣] .

وقسَّم الناس إلى شكورٍ وكَفُورٍ ، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله ، وأحبُّ الأشياء إليه الشكر وأهله ، قال تعالى: ﴿**إنَّا هديناه السَّبيلَ إمَّا شاكرًا وإمَّا كفورًا** ﴾. [الدهر : ٣] .

وقال نبيُّه سليمان : ﴿ **هذا من فضل ربِّي ليَبْلُوَني أأشكرُ أم أكفر ومَن شكر فإنما يشكرُ لنفسه ومَن كفر فإن ربِّي غنيٌّ كريمٌ** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وإذ تأذَّن ربُّكم لئن شكرتُم لأزيدنكم ولئن كفرتُم إن عذابي لشديد** ﴾. [إبراهيم : ٧] . وقال تعالى : ﴿ **إنْ تكفروا فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإنْ تشكروا يرضَهُ لكم** ﴾. [الزمر : ٧] .

وقد قطع الله بالمزيد مع الشكر وأطلق ولم يستثن فقال تعالى : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنّكم** ﴾ [إبراهيم : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ **وسنجزي الشاكرين** ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ، وقال تعالى: ﴿**وسيجزي الله الشاكرين**﴾ [آل عمران : ١٤٤] ،

واستثنى في خمسة أشياء ؛ في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة ، فقال تعالى : ﴿ **فسوف يُغنيكُم اللهُ من فضله إن شاء** ﴾ . [التوبة : ٢٨] ، وقال : ﴿ **فيكشفُ ما تدعونَ إليه إن شاء** ﴾ . [الأنعام : ٤١] ، وقال تعالى : ﴿ **ويرزقُ من يشاء بغير حساب** ﴾ . [آل عمران : ٣٧]، وقال تعالى : ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾. [النساء : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ **ويتوبُ اللهُ على مَن يشاء** ﴾. [التوبة : ١٥] .

وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة ، فقال تعالى : ﴿ **وقالوا الحمدُ لله الذي صدقنا وعده** ﴾. [الزمر : ٧٤] ، وقال : ﴿ **وآخر دَعْواهم أن الحمدُ لله ربِّ العالمين** ﴾ [يونس : ١٠] .

ولما عرف إبليس اللعين قَدْر مقام الشكر ، وأنه من أجَلِّ المقامات وأعلاها ؛ جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه، فقال: ﴿**ثم لآتينهم منْ بين أَيْديهم ومنْ خلْفهم وعنْ أَيْمانهم وعنْ شمائلهم ولا تَجِدُ أَكْثرهمْ شاكرين**﴾ [الأعراف:١٧].

وقد أخبر سبحانه أنما يعبده مَن شكره ، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته ، فقال : ﴿ **واشكروا لله إن كنتم إيَّاه تعبدون** ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

وأوَّل وصيَّةٍ وصَّى بها الإنسان بعد ما عقل عنه : الشكر له وللوالدين ، فقال : ﴿ **ووصَّينا الإنسان بوالدَيْه حملته أُمُّه وهنًا على وهْنٍ وفِصالُه في عامينِ أنِ اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير** ﴾. [لقمان : ١٤] .

وأخبر أن رضاه في شكره ، فقال تعالى : ﴿ **وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾ .

والشكر هو الغاية من خَلْق الله وأمره ، بل هو الغاية التي خلق عبيدَه لأجلها ؛ ﴿ **واللهُ أخرجكم من بطون أُمَّهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلَّكم تشكرون** ﴾ [النحل : ٧٨] ، وقال تعالى : ﴿ **ولقد نصركمُ الله ببدرٍ وأنتم أذلَّة فاتَّقوا اللهَ لعلَّكم تشكرون** ﴾. [آل عمران: ١٢٣].

وأخبر سبحانه بأنه غاية إرساله الرسول ، فقال تعالى : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم يتلو عليكم آياتِنا ويزكّيكم ويعلّمُكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾ .

وأخبر رسوله ﷺ أن القلب الشاكر خير ما اكتنز الناس ، فقال ﷺ : « قلبٌ شاكر ، ولسانٌ ذاكر ، وزوجةٌ صالحة تُعينُك على أمر دنياك ودينك - خير ما اكتنز الناس »[1].

قواعد الشكر وأركانه :

قال ابن القيم في « مدارج السالكين » (٢/٢٤٤) : « الشكر مبنيٌّ على خمس قواعد :

خضوعُ الشاكر للمشكور . وحبُّه له . واعترافُه بنعمته . وثناؤه عليه بها . وأن لا يستعملها فيما يكره .

فهذه الخمس هي أساس الشكر ، وبناؤه عليها ؛ فمتى عُدِم منها واحدة ، اختلَّ من قواعد الشكر قاعدة . وكلُّ من تكلَّم في الشكر وحَدّه ، فكلامه إليها يرجع ، وعليها يدور » .

١ - أما معرفتها :

فهو إحضارها في الذهن ، ومشاهدتها ، وتمييزها .

فمعرفتُها : تحصيلها ذهنًا كما حصلت له خارجًا ؛ إذ كثير من الناس تُحسن إليه وهو لا يدري ، فلا يصحُّ من هذا الشكر .

---

(١) صحيح : رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي أمامة ، وأخرجه الترمذي ، وابن ماجه عن ثوبان ، وعبد الرزاق في الجامع ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٢٨٥) .

٢ - وقبولها :

هو تلقِّيها من المنعم بإظهار الفقر والفاقة إليها ، وأن وصولها إليه بغير استحقاق منه . قال الجنيد : « الشكر : أن لا ترى نفسك أهلًا للنعمة » . وهذا معنى قول حمدون - وما ألطفه -:وشكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليًّا.

٣ - الثناء بها على المنعم :

نوعان : عامٌّ وخاصٌّ .

فالعام : وصفه بالجود والكرم والبر والإحسان وسعة العطاء .

والخاصُّ : التحدُّث بنعمته ، والإخبار بوصولها إليه من جهته ، والدعوة إلى الله ، وتبليغ رسالته ، وتعليم الأمة ، كما قال تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربِّك فحدِّث** ﴾ . [الضحى : ١١] .

قال ﷺ : « التحدُّث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، ومَن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير »(١).

ومِن الرَّزيَّة أن شكريَ صامتٌ عمَّا فعلتَ وأن برّك ناطقُ
وأرى الصنيعةَ منك ثم أُسِرُّها إني إذًا لندىٰ الكريم لسارقُ

الشكر علمٌ وحالٌ وعمل :

قال الغزالي : « الشكر ينتظم من علم وحال وعمل ؛ فالعلم هو الأصل ، فيورث الحال ، والحال يورث العمل .

فأمّا العلم : فهو معرفة النعمة من المنعم .

والحال : هو الفرح الحاصل بإنعامه .

والعمل : هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ، ويتعلَّق ذلك العمل

---

(١) حسن : رواه البيهقي في شعب الإيمان عن النعمان بن بشير ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠١٤) ، والسلسلة الصحيحة رقم (٦٦٧) .

بالقلب وبالجوارح واللسان .

الأصل الأول : التقديس والتوحيد والعلم بعين النعمة ، ووجه كونها نعمة ، وبذات المنْعِم عزَّ وجلَّ :

فكمال القدرة والانفراد بالنعم كلّها لله ، فهو وحده المنْعِم .

قال موسى عليه السلام : إلهي خلقت آدم بيدك ، وفعلتَ وفعلتَ ، فكيف شكَرك ؟ فقال الله عز وجل : علم أنَّ كلّ ذلك مني ، فكانت معرفته شُكرًا .

فإذن لا تشكر إلا بأن تعرف بأن الكلَّ منه ، فإن خالَجك ريب في هذا ، لم تكن عارفًا لا بالنعمة ولا بالمنعم ؛ فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره ، فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح ، وبنقصان فرحك ينقص عملك .

الأصل الثاني : الحال المستمدَّة من العلم ، وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع :

وأعلى الفرح أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى ، من حيث إنَّه يقدر بها على التوصُّل إلى القرب منه والنزول في جواره والنظر إلى وجهه ، لا أن يفرح بالنعمة من حيث إنها نعمة فقط ولا حظَّ له في الملك، ولا من يفرح بالنعمة لكونها تدلُّ على عناية الملِك به ، فكم من فرْق بين مَن يريد الملِك للفرس ، ومَن يريد الفرس للملك . وكم من فرق بين مَن يريد الله ليُنْعِم عليه ، وبين من يريد نِعم الله ليصل بها إليه .

الأصل الثالث : العمل بموجب الفرح . وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح :

أمّا بالقلب : فقصد الخير وإضماره لكافة الخلْق . وأما باللسان : فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالَّة عليه . وأما بالجوارح : فاستعمال نعم الله

في طاعته ، والتوقّي من الاستعانة بها على معصيته »[(١)].

الشكر يتعلّق بالقلب واللسان والجوارح ؛ فالقلب للمعرفة والمحبة ، واللسان للحمد والثناء . والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور ، وكفّها عن معاصيه .

أفادتكم النعماء مني ثلاثةً يدي ولساني والضمير المحجّبا

الكمال في الشكر : أن تشهد النعمة والمنعم :

قال بعضهم : الشكر:الفناء برؤية المنعم عن رؤية نِعَمِه .

وقال آخرون : بل أن لا تحجبه رؤية نعمه ومشاهدتها عن رؤية المنعم بها . وهذا أكمل .

قال ابن القيم : « والكمال أن تشهد النعمة والمنعم ؛ لأن شكره بحسب شهود النعمة ، فكلما كان أتم كان الشكر أكمل . والله يحبُّ من عبده أن يشهد نعمه ، ويعترف له بها ، ويُثني عليه بها ، ويحبّه عليها ، لا أن يفنى عنها ، ويغيب عن شهودها » .

شُكْر الخاصة وشُكْر العامة :

قال إبراهيم الخواص رحمه الله « شكْر العامة على المطعم والملبس والمشرب ، وشكْر الخاصة على واردات القلوب »[(٢)].

قال ابن القيم : « شكْر العامة : على المطعم والمشرب والملبس وقوت الأبدان ، وشكر الخاصة على التوحيد والإيمان وقوت القلوب » .

وقال أبو عثمان : شكْر العامة على المطعم والملبس ، وشكر الخواصّ على ما يرد على قلوبهم من المعاني .

---

(١) إحياء علوم الدين بتصرُّف يسير ٤/٨٦ - ٨٩ .

(٢) إحياء علوم الدين ٤/٨٩ .

الفرق بين الحمد والشكر :

قال ابن القيم : « تكلَّم الناس في الفرق بين « الحمد » و « الشكر » أيهما أعلى وأفضل ؟ والفرق بينهما : أن « الشكر » أعمُّ من جهة أنواعه وأسبابه ، وأخصُّ من جهة متعلّقاته . و « الحمد » أعمّ من جهة المتعلّقات ، وأخصّ من جهة الأسباب .

ومعنى هذا : أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة ، وباللسان ثناءً واعترافًا ، وبالجوارح طاعةً وانقيادًا . ومتعلقه : النعم ، دون الأوصاف الذاتية ، فلا يقال : شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه . وهو المحمود عليها ، كما هو محمود على إحسانه وعدله . والشكر يكون على الإحسان والنعم ؛ فكلُّ ما يتعلَّق به الشكر يتعلّق به الحمد من غير عكس ، وكلُّ ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس ؛ فإن الشكر يقع بالجوارح ، والحمد يقع بالقلب واللسان »(١) .

وقال رحمه الله : « الشكر أخصُّ بالأفعال ، والحمد أخصُّ بالأقوال ، وسبب الحمد أعمُّ من سبب الشكر ، ومتعلّق الشكر وما به الشكر أعمُّ مما به الحمد ، فما يُحمد الربُّ تعالى عليه أعمُّ مما يُشكر عليه ؛ فإنه يُحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه ، ويُشكر على نِعَمه . وما يُحمد به أخصُّ ممّا يشكر به ؛ فإنه يُشكر بالقلب واللسان والجوارح ، ويُحمد بالقلب واللسان »(٢) .

الشّكر على الشكر أتمُّ من الشكر :

قال ابن القيم : « يُقال : الشكر على الشكر أتم من الشكر ؛ وذلك أن

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٤٦ .

(٢) عُدَّة الصابرين ص١٤٥ .

ترى شكرك بتوفيقه ، وذلك التوفيق من أجلِّ النعم عليك . تشكر على النعم ، ثم تشكره على الشكر » .

الاعتراف بالعجز عن الشكر : شكر :

قال داود عليه السلام : يا رب ، كيف أشكرك ؟ وشكري لك نعمة عليَّ من عندك تستوجب بها شكرًا . فقال : الآن شكرتني يا داود[(١)].

والاعتراف بالعجز عن الشكر بيانه من وجوه :

الأول : أن شكر النعمة مشروط بمعرفة تلك النعمة ، ومعرفة نعم الله تعالى غير حاصلة ؛ يقول الله تعالى : ﴿ **وإنْ تَعُدّوا نعمةَ اللهِ لا تحصوها** ﴾. [النحل : ١٨]،فإذا كانت معرفة النعم غير حاصلة ؛ كان الشكر غير ممكن ، وعجز الإنسان عن شكره .

الثاني : شُكْرُ النعمة مخلوق من المنْعِم ، وذلك الشكر أعظم قدرًا من تلك النعمة ، فكيف يُعقَل شكر نعمته من غير نعمته .

الثالث : أن الله يُعطي على هذا الشكر نعمة زائدة ، فإن وقع هذا الشكر في مقابلة النعمة السابقة ؛ بقيت النعمة اللاحقة بلا شكر . وإن وقع الشكر في مقابلة اللاحقة ؛ بقيت النعمة السابقة بلا شكر . وعلى التقديرين لا يفي شكر العبد بنعمة الرب .

الرابع : أن الله يُعطيك مع استغنائه عنك ، وأنتَ تشكره مع افتقارك إليه ، فكيف يقع هذا الشكر الصادر عن الحاجة والضرورة في مقابلة الإنعام الذي هو محض التفضُّل والإحسان .

ولله درُّ محمود الورَّاق إذ يقول :

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً   عليَّ له في مثلها يجب الشكْرُ

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٤٥ .

فكيف وقوع الشكر إلّا بفضْله وإنْ طالت الأيام واتَّصل العمْرُ
إذا مسَّ بالسرَّاء عمَّ سرورها وإن مسَّ بالضرَّاء أعقبها الأجْرُ
وما منهما إلّا له فيه مِنَّةٌ تضيق بها الأوهامُ والبرُّ والبحْرُ

وقال الشاعر أحمد مخيمر :

لك الحمدُ إذْ أنت الشكور على الذي تجودُ به والشكر أولى به العبدُ
وشكْرُك للخير الذي أنت صانع وجلّ بنا ما يصنع الصمدُ الفردُ

درجات الشكر :

قال شيخ الإسلام الهروي : وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الشكر على المحابِّ :

قال ابن القيم : « إذا علمتَ حقيقة « الشكر » ، وأن جزء حقيقته الاستعانة بنعم المنعِم على طاعته ومرضاته ؛ علمتَ اختصاص أهل الإسلام بهذه الدرجة ، وأن حقيقة الشكر على المحابِّ ليست لغيرهم .

نعم لغيرهم منها بعض أركانها وأجزائها ؛ كالاعتراف بالنعمة ، والثناء على المنعم بها . فإن جميع الخلق في نعم الله ، وكلّ من أقر بالله ربًّا ، وتفرُّده بالخلق والإحسان ، فإنه يضيف نعمته إليه . لكن الشأن في تمام حقيقة الشكر ، وهو الاستعانة بها على مرضاته . وقد كتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية رضي الله عنه : « إن أقلَّ ما يجبُ للمنعِم على مَن أنعم عليه ، أن لا يجعل ما أنعم عليه سبيلًا إلى معصيته » .

وقد عُرف مراد الشيخ ، وهو أن هذا الشكر مشترك ، وهو الاعتراف بنعمه سبحانه ، والثناء عليه بها ، والإحسان إلى خلقه منها . وهذا بلا شكٍّ يُوجب حفظها عليهم والمزيد منها . فهذا الجزء من الشكر مشترك ، وقد تكون ثمرته في الدنيا بعاجل الثواب . وفي الآخرة بتخفيف العقاب ؛ فإن النار دركات

في العقوبة مختلفة »[١] .

الدرجة الثانية : الشكر في المكاره :

قال الهروي : « الدرجة الثانية : الشكر في المكاره . وهذا ممّن تستوي عنده الحالات ؛ إظهارًا للرضا . وممّن يُميِّز بين الأحوال ؛ لكظْم الغيظ ، وستْر الشكوى ، ورعاية الأدب ، وسلوك مسلك العلم . وهذا الشاكر أول مَن يُدعَى إلى الجنة » .

قال ابن القيم : « يعني أن الشكر على المكاره أشدُّ وأصعب من الشكر على المحابِّ ؛ ولهذا كان فوقه في الدرجة ، ولا يكون إلا من أحد رجلين :

إمَّا رجل لا يُميِّز بين الحالات ، بل يستوي عنده المكروه والمحبوب ؛ فشكْر هذا إظهارٌ منه للرضا بما نزل به ، وهذا مقام الرضا .

الرجل الثاني : مَن يُميِّز بين الأحوال ؛ فهو لا يحبُّ المكروه ، ولا يرضى بنزوله به . فإذا نزل به مكروه شكر الله تعالى عليه ، فكان شكره كظْمًا للغيظ الذي أصابه ، وستْرًا للشكوى ، ورعايةً منه للأدب ، وسلوكًا لمسلك العلم . فإن العلم والأدب يأمران بشكر الله على السرَّاء والضرَّاء . فهو يسلك بهذا الشكر مسلك العلم ؛ لأنه شاكر لله شكر من رضي بقضائه ، كحال الذي قبله . فالذي قبله أرفع منه .

وإنما كان هذا الشاكر أول مَن يُدعى إلى الجنة ؛ لأنه قابل المكاره التي يُقابلها أكثر الناس بالجزع والسخط ، وأوساطهم بالصبر ، وخاصَّتهم بالرضا – فقابلها هو بأعلى من ذلك كلِّه ، وهو الشكر ، فكان أسبقهم دخولًا إلى الجنة ، وأول مَن يُدعى منهم إليها .

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٥٣ .

وقسَّم أهلَ هذه الدرجة إلى قسمين : سابقين ، ومُقَرَّبين . بحسب انقسامهم إلى مَن يستوي عنده الحالات من المكروه والمحبوب ، فلا يؤثر أحدهما على الآخر ، بل قد فني بإيثاره ما يرضَى له به ربُّه عما يرضاه هو لنفسه . وإلى مَن يُؤثر المحبوب ، ولكن إذا نزل به المكروه قابله بالشكر »(١) .

قال الثوري : كان يُقال : ليس بفقيه مَن لم يعدَّ البلاء نعمة ، والرخاء مصيبة .

الدرجة الثالثة : أن لا يشهد العبد إلا المنعم :

قال الهروي : « فإذا شهد المنعم عبوديةً ؛ استعظم منه النعمة . وإذا شهده حبًّا ، استحلى منه الشدة . وإذا شهده تفريدًا ؛ لم يشهد منه نعمة ولا شدَّة » .

قال ابن القيم : « هذه الدرجة يستغرق صاحبها بشهود المنعم عن النعمة . فلا يتَّسع شهوده للمنعِم ولغيره .

وقسَّم أصحابها إلى ثلاثة أقسام ؛ أصحاب شهود العبودية ، وأصحاب شهود الحب ، وأصحاب شهود التفريد . وجعل لكل منهم حكْمًا هو أولى به .

فأما شهوده العبودية: فهو مشاهدة العبد للسيد بحقيقة العبودية والملك له ؛ فإن العبيد إذا حضروا بين يدي سيدهم فإنهم ينسون ما هم فيه من الجاه والقرب الذي اختُصُّوا به عن غيرهم باستغراقهم في أدب العبودية وحقها ، وملاحظتهم لسيدهم ؛ خوفًا أن يشير إليهم بأمر فيجدهم غافلين عن ملاحظته . وهذا أمر يعرفه من شاهد أحوال الملوك وخواصّهم .

فهذا هو شهود العبد للمنعِم بوصف عبوديته له ، واستغراقه عن الإحسان

(١) مدارج السالكين ٢/٢٥٤ .

بما حصل له منه من القرب الذي تميَّز به عن غيره .

فصاحب هذا المشهد : إذا أنعم عليه سيِّده في هذه الحال - مع قيامه في مقام العبودية - يُوجب عليه أن يستصغر نفسه في حضرة سيده غاية الاستصغار ، مع امتلاء قلبه من محبَّته . فأيّ إحسان ناله منه في هذه الحالة رآه عظيمًا . والواقع شاهد بهذا في حال المحبِّ الكامل المحبَّة ، المستغرق في مشاهدة محبوبه إذا ناوله شيئًا يسيرًا ؛ فإنه يراه في ذلك المقام عظيمًا جدًّا ، ولا يراه غيره كذلك .

القسم الثاني : يشهد الحق شهود محبة غالبة قاهرة له ، مستغرق في شهوده كذلك ؛ فإنه يستحلي في هذه الحال الشدة منه ؛ لأن المحبَّ يستحلي فعْل المحبوب به :

وأقلُّ ما في هذا المشهد : أن يَخِفَّ عليه حمل الشدائد ، إن لم تسمح نفسه باستحلائها . وفي هذا من الحكايات المعروفة عند الناس ما يغني عن ذكرها؛ كحال الذي كان يُضرب بالسياط ولا يتحرَّك، حتى ضُرب آخر سوط، فصاح صياحًا شديدًا ، فقيل له في ذلك ، فقال : العين التي كانت تنظر إليَّ وقْت الضرب كانت تمنعني من الإحساس بالألم ، فلما فقدتُها وجدتُ ألم الضرب .

وهذه الحال عارضة ليست بلازمة ، فإن الطبيعة تأبى استحلاء المنافي كاستحلاء الموافق .

نعم قد يقوى سلطان المحبة حتى يستحلي المحبُّ ما يستمِرُّه غيره ، ويستخف ما يستثقله غيره ، ويأنس بما يستوحش منه الخَلْقُ ، ويستوحش مما يأنس به ، ويستلين ما يستوعره . وقوة هذا وضعفه بحسب قهْر سلطان المحبة ، وغلبته على قلب المحب .

القسم الثالث : أن يشهده تفريدًا ؛ فإنه لا يشهد معه نعمةً ولا شدَّة :

يقول : إن شهود التفريد يفني الرسم . وهذه حال الفناء المستغرَقِ فيه ، الذي لا يشهد نعمة ولا بليَّة ؛ فإنه يغيب بمشهوده عن شهوده له ، ويفنى به عنه . فكيف يشهد معه نعمة أو بلية ؟ كما قال بعضهم في هذا : من كانت مواهبه لا تتعدَّى يديه ، فلا واهب ولا موهوب .

وذلك مقام الجمع عندهم ، وبعضهم يُحرِّم العبارة عنه .

وحقيقته : اصطلام يرفع إحساس صاحبه برسمه فضلًا عن رسم غيره ؛ لاستغراقه في مشهوده وغيبته به عما سواه . وهذا هو مطلوب القوم .

وقد عرفت أن فوقه مقامًا أعلى منه ، وأرفع وأجلّ ؛ وهو أن يصطلم بمراده عن غيره ، فيكون في حال مشاهدته واستغراقه مُنَفِّذًا لمراسيمه ومراده ، ملاحظًا لما يلاحظ محبوبه من المرادات والأوامر .

فتأمل الآن عبدين بين يدي ملك من ملوك الدنيا ، وهما على موقف واحد بين يديه ، أحدهما مشغول بمشاهدته ؛ فإن استغراقه في ملاحظة الملك ليس فيه مُتَّسع إلى ملاحظة شيءٍ من أمور الملك ألبتة. وآخر مشغول بملاحظة حركات الملك وكلماته، وأيش أمره ولحظاته وخواطره ؛ ليرتِّب على كل من ذلك ما هو مرادٌ للملك .

وتأمل قصة بعض الملوك الذي كان له غلام يخصُّه بإقباله عليه وإكرامه ، والحظوة عنده من بين سائر غلمانه - ولم يكن الغلام أكثرهم قيمة ، ولا أحسنهم صورة - فقالوا له في ذلك ، فأراد السلطان أن يُبيِّن لهم فضْل الغلام في الخدمة على غيره ، فيومًا من الأيام كان راكبًا في بعض شئونه ، ومعه الحشم ، وبالبعد منه جَبلٌ عليه ثلج ، فنظر السلطان إلى ذلك الثلج وأطرق ، فركض الغلام فرسه ، ولم يعلم القوم لماذا ركض ، فلم يلبث أن جاء ومعه شيءٌ من الثلج ، فقال السلطان : ما أدراك أني أريد الثلج ؟ فقال الغلام : لأنك نظرت

إليه ، ونظر الملوك إلى شيء لا يكون عن غير قصْد . فقال السلطان : إنما أخصَّه بإكرامي وإقبالي ؛ لأن لكلّ واحد منكم شغلًا ، وشغله مراعاة لحظاتي ، ومراقبة أحوالي . يعني في تحصيل مرادي .

وسمعتُ بعض الشيوخ يقول : لو قال ملِك لغلامَيْن له بين يديه ، مستغرقَيْن في مشاهدته والإقبال عليه : اذهبا إلى بلاد عدوِّي ، فأوصلا إليهم هذه الكتب ، وطالِعاني بأحوالهم ، وافعلا كيت وكيت . فأحدهما : مضى من ساعته لوجهه ، وبادر ما أمره به ، والآخر قال : أنا لا أدع مشاهدتك ، والاستغراق فيك ، ودوام النظر إليك ، ولا أشتغل بغيرك . لكان هذا جديرًا بمقْت الملك له ، وبغضه إياه ، وسقوطه من عينه ؛ إذ هو واقف مع مجرَّد حظِّه من الملِك ، لا مع مراد الملك منه . بخلاف صاحبه الأول .

وسمعتُه أيضًا يقول : لو أن شخصيْن ادَّعيا محبَّة محبوب ، فحضرا بين يديه ، فأقبل أحدهما على مشاهدته والنظر إليه فقط ، وأقبل الآخر على استقراء مراداته ومراضيه وأوامره ليمتثِلَها ، فقال لهما : ما تريدان ؟ فقال أحدهما : أريد دوام مشاهدتك ، والاستغراق في جمالك . وقال الآخر : أريد تنفيذ أوامرك ، وتحصيل مراضيك ؛ فمرادي منك ما تريدُه أنت مني ، لا ما أريده أنا منك . والآخر قال : مرادي منك تمتُّعي بمشاهدتك – أكانا عنده سواء ؟ . فمن هو الآن صاحب المحبَّة المعلولة المدخولة ، الناقصة النفسانية ، وصاحب المحبة الصحيحة الصادقة الكاملة ؟ أهذا أم هذا ؟.

وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية – قدَّس الله روحه – يحكي عن بعض العارفين أنه قال : الناس يعبدون الله ، والصوفية يعبدون أنفسهم .

أراد هذا المعنى المتقدِّم ، وأنهم واقفون مع مرادهم من الله ، لا مع مراد الله منهم . وهذا عين عبادة النفس . فليتأمل اللبيب هذا الموضع حقَّ التأمُّل ؛ فإنه

محكٌّ وميزان ، والله المستعان »[١] .

عُلُوُّ همَّة نوح عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ **ذريَّة من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا** ﴾. [الإسراء : ٣] .

قال ابن القيم في « عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » (ص١١٣) : « قد أثنى الله سبحانه وتعالى على أوّل رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر ، وفي تخصيص نوح هاهنا بالذِّكر وخطاب العباد بأنهم ذريَّته ؛ إشارة إلى الاقتداء به فإنه أبوهم الثاني ؛ فإن الله تعالى لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلًا إلا من ذريَّته ، كما قال تعالى : ﴿ **وجعلنا ذريَّته هم الباقين** ﴾. [الصافات : ٧٧] فأمر الذريَّة أن يتشبَّهوا بأبيهم في الشكر ، فإنه كان عبدًا شكورًا .

عن مجاهد ، في قوله تعالى : ﴿ **إنه كان عبدًا شكورًا** ﴾؛ قال : لم يأكل شيئًا إلا حمد الله عليه ، ولم يشرب شرابًا قط إلا حمِدَ الله عليه ، ولم يبطش بشيءٍ قط إلا حمد الله عليه ؛ فأثنى الله عليه أنه كان عبدًا شكورًا .

وقال محمد بن كعب : « كان نوح إذا أكل قال : الحمد لله ، وإذا شرب قال : الحمد لله ، وإذا لبس قال : الحمد لله ، وإذا ركب قال : الحمد لله ؛ فسمَّاه الله عبدًا شكورًا » .

فصلواتُ ربِّي وسلامه على مَن حدَّث بنعمة ربِّه عليه ، دعوة إليه وتبليغًا لرسالته ألف سنة إلا خمسين عامًا .. فما أعظم شكره .

إبراهيم الخليل عليه السلام : الشاكر لأنعم ربِّه :

قال ابن القيم : « أثنى الله سبحانه على خليله إبراهيم بشكر نعمه فقال : ﴿ **إن إبراهيم كان أمَّة قانتًا لله حنيفًا ولم يكُ من المشركين شاكرًا لأنْعُمه اجتباه**

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٥٥ - ٢٥٨ .

وهداه إلى صراطٍ مستقيم ﴾. [النحل : ١٢١] ، فأخبر عنه سبحانه بأنه أمّة ، أي قدوة يُؤتم به في الخير ، وأنه قانتٌ لله ، والقانت : هو المطيع المقيم على طاعته . والحنيف : هو المقبل على الله ، المعرض عما سواه . ثم ختم له هذه الصفات بأنه شاكر لأنعمه ، فجعل الشكر غاية خليله »[١] .

موسىٰ عليه السلام : من سادات الشاكرين :

قال ابن القيم : « أمر الله عبده موسى أن يتلقّى ما آتاه من النبوّة والرسالة والتكليم بالشكر ، فقال تعالى : **﴿ يا موسى إني اصطفيتُك على الناسِ برسالاتي وبكلامي فخُذ ما آتيتك وكُن من الشاكرين ﴾**. [الأعراف : ١١٤] .

عن أبي الجلد قال : قرأتُ في مسألة موسى عليه السلام أنه قال : « يا رب ، كيف لي أن أشكرك وأصغر نعمةٍ وضعتها عندي من نعمك ، لا يُجازي بها عملي كلّه . قال : فأتاه الوحي : أن يا موسى ، الآن شكرتني »[٢] .

داود عليه السلام :

عن أبي الجلد قال : قرأت في مسألة داود عليه السلام ربَّه أنه قال : « أي ربِّ ، كيف لي أن أشكرك ، وإني لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك . قال : فأتاه الوحي : أن يا داود ، أليس تعلم أن الذي بك من النعم مني ؟ قال : بلى يا رب . قال : فإني أرضى بذاك منك شكرًا »[٣] .

« قال ثابت البناني: كان داود عليه السلام قد جزَّأ ساعات الليل والنهار على أهله ، فلم يكن ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلّي

(١) عُدَّة الصابرين ص١١٣ – ١١٤ .
(٢) الشكر لابن أبي الدنيا ص١٧ . دار ابن كثير .
(٣) الشكر لابن أبي الدنيا ص٦٧ .

فيها ، قال . فعمَّهم تبارك وتعالى في هذه الآية ﴿ **اعملوا آل داود شكرًا وقليلٌ مِن عبادي الشكور** ﴾. [سبأ : ١٣][١] .

وعن سعيد بن عبد العزيز قال : « كان من دعاء داود : سبحان مستخرج الشكر بالعطاء ، ومستخرج الدعاء بالبلاء »[٢] .

وعن الحسن قال : قال نبي الله داود : « إلهي لو أن لكل شعرة مني لسانين يسبّحانك الليل والنهار والدهر ، ما وفَّيتُ حقَّ نعمةٍ واحدة »[٣] .

سليمان بن داود عليه السلام :

هذا النبي الصالح ابن النبي الصالح ، عليهما السلام ، ما شغله الملك – الذي ما آتاه أحدًا من العالمين قبله ولا بعده – عن الشكر والتحدُّث بنعم الله عليه .

قال تعالى : ﴿**وورث سليمان داود وقال يأيُّها الناسُ عُلِّمنا منطِقَ الطير وأُوتينا من كلِّ شيءٍ إن هذا لهو الفضلُ المبين وحُشِر لسليمانَ جنودُه من الجنِّ والإنس والطير فهم يُوزعون حتى إذا أتَوْا على وادي النمل قالت نملةٌ يأيها النملُ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنَّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسَّم ضاحكًا من قولها وقال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين** ﴾.
[النمل : ١٦ – ١٩].

ولما حُمل إليه عرش بلقيس قال : ﴿ **هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكرُ لنفسه ومن كفر فإنَّ ربي غنيٌّ كريم** ﴾.
[النمل : ٤٠].

---

(١)،(٢) عُدَّة الصابرين ص١٢٠ .
(٣) عُدَّة الصابرين ص١٢١ .

سيِّد الشاكرين : رسول الله ﷺ :

قال الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ **بل الله فاعبد وكن من الشاكرين** ﴾. فكان ﷺ سيِّد الشاكرين .

عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى قام حتى تفطَّر رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله ، أتصنع هذا وقد غُفِر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ؟ فقال : « يا عائشة ، أفلا أكون عبدًا شكورًا »[(١)]؟!

وعن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ صلَّى حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : أتكلَّف هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ؟! فقال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا »[(٢)].

وعند البخاري : أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه ، فقالت عائشة : لم تصنع هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا » .

وكان من دعائه ﷺ : « ربِّ ، أعنِّي ولا تُعِن عليّ ، وانصرني ولا تنصر عليَّ ، وامكر لي ولا تمكر عليّ ، واهدني ويسِّر هداي إليّ ، وانصرني على من بغى عليّ .

اللهم اجعلني لك شاكرًا ، لك ذاكرًا ، لك راهبًا ، لك مطواعًا ، إليك مخبتًا ، إليك أوَّاهًا منيبًا .

ربِّ تقبَّل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ، وثبِّت حُجَّتي ، واهد قلبي ، وسدِّد لساني ، واسلل سخيمة قلبي »[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم واللفظ له .

(٢) رواه البخاري ، ومسلم واللفظ له ، والترمذي ، والنسائي .

(٣) صحيح : رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي ، وابن ماجه والحاكم وابن =

وفي رواية : « اجعلني لك شكّارا » .

وانظر إلى وصيته لمن يحبُّه :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ ، إني والله لأحبُّك ، أوصيك يا معاذ : لا تدعنَّ في دُبُر كلِّ صلاةٍ أن تقول : اللهم أعنِّي علي ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[١].

عن أبي هريرة قال : دعا رجل من الأنصار - من أهل قباء - النبيَّ ﷺ ، فانطلقنا معه ، فلما طَعِمَ وغسل يده - أو قال : يديه - قال : « الحمد لله الذي يُطْعِم ولا يُطْعَم ، مَنَّ علينا فهدانا ، وأطعمنا وسقانا ، وكل بلاءٍ حسنٍ أبلانا . الحمد لله غير مودَّع ربي ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنى عنه ، الحمد لله الذي أطعم الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسا من العُرْي ، وهدى من الضلالة ، وبصَّر من العَمَى ، وفضَّل على كثير ممن خلقه تفضيلا ، الحمد لله ربِّ العالمين »[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفُجاءة نقمتك ، وتحوُّل عافيتك ، وجميع سخطك »[٣].

= أبي عاصم عن ابن عباس ، وصحَّحه الحاكم والذهبي ، والألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٧٩) .

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٨٤٦) .

(٢) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في الشكر ، وابن السني ، وخرجه الحافظ من طرق وحسَّنه كما قال ابن علان في الفتوحات الربَّانيَّة على الأذكار النوويّة (٥/٢٣٠) .

(٣) رواه مسلم .

الصـديق يسـأل تمـام النعـمة :

قال عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون : حدَّثني من أُصدِّقه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول في دعائه : « اللهم أسألك تمام النعمة في الأشياء كلِّها، والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا ، والخيرة في جميع ما تكون فيه الخيرة بجميع مُيسَّر الأمور كلِّها لا معسورها يا كريم »(١) .

عثمان ذو النـورين النبيل :

« دُعي عثمان رضي الله عنه إلى قوم على ريبة فانطلق ليأخذهم فتفرَّقوا قبل أن يبلغهم ، فأعتق رقبة ؛ شكرًا لله أن لا يكون جرى على يديه خزي مسلم »(٢) .

لله درُّه .. ما أنبل هذا .. بل والله هذا هو النُّبل والشفافية ورقَّة القلب في أعظم مظاهرها .

علي بن أبي طالـب :

كان علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده ، وقال : يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها(٣) .

وعن علي – رضي الله عنه – أنه قال لرجل من أهل همدان: «إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر متعلِّق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرنٍ ؛ فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتى ينقطع الشكر من العبد »(٤) .

---

(١) عُدَّة الصابرين ص١٢٦ .

(٢) عُدَّة الصابرين ص١٢٨ .

(٣) عُدَّة الصابرين ص١٢٢ .

(٤) الشكر لابن أبي الدنيا .

النجاشي وتواضعه شكرًا لربِّه :

« ذكر عبد الله بن المبارك أن النجاشي أرسل ذات يوم إلى جعفر وأصحابه ، فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان جالس على التراب ، قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلمّا رأى ما في وجوهنا ، قال : إني أبشِّركم بما يسرُّكم ؛ إنه جاءني من نحو أرضكم عينٌ لي ، فأخبرني أن الله قد نصر نبيَّه ﷺ ، وأهلك عدوَّه . وأُسِرَ فلان وفلان ، وقُتِل فلان وفلان ؛ التقوْا بوادٍ يُقال له : بدر . كثير الأراك ، كأني أنظر إليه ، كنتُ أرعى به لسيدي ؛ رجل من بني ضمرة . فقال له جعفر : ما بالك جالسًا على التراب ، ليس تحتك بساط، وعليك هذه الأخلاق ؟! قال: إنَّا نجد فيما أنزل الله على عيسى ﷺ: أن حقًّا على عباد الله أن يُحْدِثوا لله تواضعًا عندما أحدث الله لهم من نِعَمِه ؛ فلمَّا أحدث الله لي نَصْر نبيِّه ، أحدثتُ لله هذا التواضع »[(١)] .

عمر بن عبد العزيز :

عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال : ما قلَّب عمر بن عبد العزيز بصره إلى نعمة أنعم الله عز وجل بها عليه إلّا قال : اللهم إني أعوذ بك أن أُبدِّل نعمتك كفرًا ، أو أكفرها بعد معرفتها ، أو أنساها فلا أُثني بها[(٢)].

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : قيِّدُوا نعم الله عز وجل بالشكر لله تعالى .

علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه :

« كان علي بن الحسين – رضي الله عنه – بمنى ، فظهر من دعائه أن

---

(١) عُدَّة الصابرين ص١٢٩ .

(٢) عُدَّة الصابرين ص١١٨ .

قال : « كم من نعمة أنعمتَها عليَّ قلَّ لك عندها شكري ، وكم من بليَّةٍ ابتليتني بها قلَّ لك عندها صبري ؛ فيا مَن قلَّ شكْري عند نعمته فلم يحرمني ، ويا مَن قلَّ صبري عند بلائه فلم يخذُلني ، ويا مَن رآني على الذنوب العظام فلم يفضحني ولم يهتك ستري ، ويا ذا المعروف الذي لا ينقضي ، ويا ذا النعم التي لا تَحُولُ ولا تَزُول ؛ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ ، واغفر لنا وارحمنا » .

ولمَّا حُمَّ عباية بن كليب الكوفي - أبو غسَّان - بنيسابور ، قال : دعوتُ بهذا الدعاء ، فذهب عني »[1] .

الحسن البصري سيد عباد البصرة :

كان الحسن يقول - إذا ابتدأ حديثه -: « الحمد لله ، اللهم ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلَّمتنا وأنقذتنا وفرَّجت عنا ، لك الحمد بالإسلام والقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ؛ كبتَّ عدوَّنا ، وبسطتَّ رزقنا ، وأظهرت أُمّتنا ، وجمعتَ فُرْقتنا ، وأحسنتَ معافاتِنا ، ومن كلِّ - والله - ما سألناك ربَّنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك حمدًا كثيرًا . لك الحمد بكلِّ نعمة أنعمتَ بها علينا في قديمٍ أو حديث ، أو سرٍّ أو علانية ، أو خاصَّةٍ أو عامَّة ، أو حيٍّ أو ميِّت ، أو شاهدٍ أو غائب . لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيتَ »[2]. وزاد في رواية ابن أبي الدنيا : « فلك الحمد كثيرًا كما تُنْعِمُ كثيرًا ؛ أعطيتَ خيرًا كثيرًا ، وصرفتَ شرًّا كبيرًا . فَلِوجْهك الجليل الباقي الدائم : الحمد ، الحمدُ لله ربِّ العالمين » .

وعن روح بن القاسم قال : تنسَّك رجلٌ فقال : لا آكل الخبيص ؛ لا

---

(١) الشكر لابن أبي الدنيا ص٨٥ ، ١٠٥ .

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا ص١٤٦ ، وعُدَّة الصابرين ص١٢٢ .

أقومُ بشكره . فقال الحسن : هذا أحمق ، وهل يقومُ بشكر الماء البارد[١]؟

قال هشام بن سلمان : كنت قاعدًا عند الحسن وبكر بن عبد الله المزني ، فقال له الحسن : هات يا أبا عبد الله دعوات لإخوانك . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلَّى على النبي ﷺ ، ثم قال : والله ما أدري أيّ النعمتين أفضل عليَّ وعليكم ؛ أنعْمةُ المسلك أم نعمة المخرج ، إذ أخرجه الله منَّا ؟! قال الحسن : لقد قلتَ عجبًا يا بكر ، إنها لمن نِعَمه العظام[٢] .

عن الحسن قال : يا لها من نعمة !! تُؤْكَلُ لذَّةً وتخرج سُرحًا[٣]؛ لقد كان مِلِك من ملوك هذه القرية يرى الغلام من غلمانه يأتي الحُبّ فيكتاز[٤] منه ، ثم يُجَرْجرُ قائمًا ، فيقول : يا ليتني مثلك . ما يشرب حتى يقطع عَيْفَة العطش ، فإذا شرب كان له في تلك الشربة موتات ، يا لها من نعمة !! تُؤْكَلُ لذَّةً ، وتخرجُ سُرُحًا .

عن الحسن قال : أكثروا ذكْر هذه النعمة ؛ فإن ذكرها شكرها .

وقال الحسن : من لا يرى لله عليه نعمة إلا في مطعمٍ أو مشربٍ أو لباس ، فقد قصر علْمُه وحضر عذابه[٥].

عن الحسن قال : إنَّ الله عز وجل لَيُمَتِّع بالنعمة بما شاء ، فإذا لم يُشكر ؛ قَلَبها عليهم عذابًا .

---

(١) عدة الصابرين ص١١٨ .

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا ص١٦١ ، ١٦٢ .

(٣) السرح: إدرار البول بعد احتباسه، وتخرج سرحًا أي سهلًا سريعًا. ويا لها من نعمة: يعني الشَّرْبة من الماء .

(٤) يكتاز أي يغترف بالكوز ، والحب : الجرة والخابية ، وكان بهذا الملك احتباس بول فتمنى حال غلامه .

(٥) عدة الصابرين ص١٣٩ .

أنتَ عندي أفْقَهُ من الحسن ، فالزَمْ ما أنت عليه :

عن إبراهيم بن عبد الله المديني قال : قيل للحسن : هاهنا رجلٌ لم نره قطّ جالسًا إلى أحد ، ولا رأينا أحدًا جالسًا إليه ، إنما هو أبدًا خلف ساريةٍ وحده ، فقال الحسن : إذا رأيتموه فأخبروني به . قال : فمرُّوا به ذات يوم ومعهم الحسن فأشاروا إليه ، فقالوا : ذلك الرجل الذي أخبرناك به . فقال : امضوا حتى آتيه . فلمّا جاءه قال : يا عبد الله ، أراك قد حُببَ إليك العزلة ، فما يمنعك من مخالطة الناس ؟ قال : ما أشغلني عن الناس !! قال : فتأتي ذا الرجل الذي يقال له : الحسن . فتجلسَ إليه . قال : ما أشغلني عن الحسن وعن الناس !! قال له الحسن: ما الذي شغلك - رحمك الله - عن الناس وعن الحسن ؟ قال : إني أُصبح وأمسي بين ذنبٍ ونعمة ؛ فرأيت أن أُشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب وأشكر الله على النعمة . فقال له الحسن : أنت عندي يا عبد الله أفْقَه من الحسن فالزَمْ ما أنت عليه[1] .

بكـر بن عبد الله المُـزني :

« عن بكر بن عبد الله أنه قال : ما قال عبدٌ قطّ : الحمد لله . إلّا وجبت عليه نعمة بقوله: الحمد لله. قلت: فما جزاء تلك النعمة ؟ قال: جزاؤها أن يقول: الحمد لله. فجاءت نعمة أخرى، فلا تنفدُ نعم الله عز وجل » .

وكان رحمه الله يقول : يا ابن آدم ، إن أردتَ أن تعلمَ قدْر ما أنعم الله عليك ، فغمِّض عينيك .

الحمَّال فيها أفقَهُ من بكـر المزني :

« عن بكر بن عبد الله أنه لحقَ حمَّالًا عليه حِمْلُهُ وهو يقول : الحمد لله ،

---

(١) الشكر ص١٦٣ - ١٦٤ .

وأستغفر الله . قال : فانتظرتُهُ حتى وضع ما على ظهره ، وقلت له : أما تُحسن غير ذي . قال : بلى أحْسن خيرًا كثيرًا ؛ أقرأ كتابَ الله ، غير أنَّ العبدَ بين نعمةٍ وذنب ؛ فأحْمَدُ اللهَ على نعمائِه السابغة ، وأستغفر لذنوبي . فقلتُ : الحمَّال فيها أفْقَهُ من بكر »[١] .

يُونس بن عُبَيْد :

جاء رجل إلى يونس بن عُبَيْد ، يشكو ضيق حاله ، فقال له يُونس : أيَسُرُّك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم ؟ قال الرجل : لا . قال : فبيديك مائة ألف ؟ قال الرجل : لا . قال : فبرجليك ؟ قال الرجل : لا . قال : فذكَّره نِعَم الله عزَّ وجلَّ . فقال يونس : أرى عندك مئين الألوف ، وأنت تشكو الحاجة[٢]؟! .

فضيل بن عياض وابن عيينة يتذكران النعَمَ إلى الصباح :

عن ابن أبي الحواري قال : جلس فضيل بن عياض وسفيان بن عيينة ليلةً إلى الصباح يتذكران النعم ، فجعل سفيان يقول : أنعم الله علينا في كذا ، أنعم الله علينا في كذا ، فعل بنا كذا ، فعل بنا كذا[٣] .

أبو حازم - رحمه الله - وفِطْنته وعِلْمُه وشكره :

« قال رحمه الله : نعمةُ الله فيما زُوِيَ عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها ، إني رأيتُه أعطاها قومًا فهلكوا ، وكلّ نعمةٍ لا تقرب من الله فهي بليَّة ، وإذا رأيتَ اللهَ يُتابع عليك نِعَمه وأنتَ تعصيه فاحذَرْه »[٤] .

---

(١) الشكر .
(٢) عُدَّة الصابرين ص١٢٥ ، والشكر .
(٣) الشكر ، وعُدَّة الصابرين ص١٢٧ .
(٤) عُدَّة الصابرين ص١٢٧ .

« وقال رجل لأبي حازم : ما شكْرُ العينين يا أبا حازم ؟ قال : إن رأيتَ بهما خيرًا أعلنته ، وإن رأيت بهما شرًّا سترته . قال : فما شكْر الأذنين ؟ قال : إن سمعتَ بهما خيرًا وعيْته ، وإن سمعتَ بهما شرًّا أخفيته . قال : ما شكْرُ اليدين ؟ قال : لا تأخذ بهما ما ليس لهما ، ولا تمنع حقًّا لله هو فيهما . قال : ما شكر البطن ؟ قال : أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا . قال : ما شكر الفرج ؟ قال : كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غيرُ ملومين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فأولئك هم العادون** ﴾. [المؤمنون : ٧] . قال : فما شكر الرِّجْلين ؟ قال : إن رأيتَ حيًّا غبطته ؛ استعملتَ بهما عمله ، وإن رأيتَ ميّتًا مقتَّه ؛ كففتهما عن عمله وأنت شاكرٌ لله .

وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه ، فمثله كمثل رجل له كساء ، فأخذ بطرفه ولم يلبسه ، فلم ينفعه ذلك من الحرِّ والبرد والثلج والمطر[1] .

قال مطرّف بن عبد الله : لَأَن أُعافى فأشكُر ، أحبُّ إليَّ مِن أن أُبتلى فأصبر .

وعن محمد بن منصور الطوسي الإمام الحافظ أبي جعفر،سُئل : إذا أكلتُ وشبعت فما شكر تلك النعمة ؟ قال : أن تصلّي حتى لا يبقى في جوفك منه شيء[2] .

وكان المزني إذا فرغ من تبييض مسألة وأودَعَها مُختصرَه ، صلَّى لله ركعتين[3] .

(١) الشكر ص١٣٠ ، وعُدَّة الصابرين . ص١٢٨ - ١٢٩ .
(٢) السير ١٢/ ٢١٢ - ٢١٤ .
(٣) السير ١٢/ ٤٩٢ - ٤٩٧ .

قال عبد الرحمن بن زيد : الشكر يأخذ بحزم الحمد وأصله وفرعه . ينظر في نعم الله ؛ في بدنه وسمعه وبصره ويديه ورِجْليه وغير ذلك ، ليس من هذا شيءٌ إلَّا فيه نعمة من الله ، حقٌّ على العبد أن يعمل في النعمة – التي هي في بدنه – لله في طاعته ونعمة أخرى في الرزق ، وحقّ عليه أن يعمل لله فيما أنعم عليه به من الرزق بطاعته. فمن عمل بهذا كان قد أخذ بحزم الشُّكر وأصله وفرعه[١] .

لله درُّ محمد بن واسع ... ما أفقهه وما أعظم شكره :

قال عبد العزيز بن أبي داود : رأيتُ في يد محمد بن واسع قُرْحَةً ، فكأنَّه رأى ما شقَّ عليّ منها ، فقال لي : أتدري ماذا لله عليّ في هذه القرحة من نعمة ، حين لم يجعلها في حَدَقتي ، ولا طَرَف لساني ، ولا على طَرَف ذكرتي . فهانت عليَّ قرحتُه[٢] .

جلساء الرحمٰن : أهل الشكر :

قال أبو سليمان الداراني : جلساء الرحمن يوم القيامة مَن جُعل فيه خصال الكرم والسخاء ، والحلم والرأفة ، والشكر والبِرّ ، والصبر[٣] .

أقلُّ نعمة لا تهتدي لشكرها العقول :

قال أحمد بن أبي الحواري : قالت لي مؤمنة المتعبِّدة[٤]: أنا في شيءٍ قد

---

(١) عُدَّة الصابرين ص١٣٩ ، والشكر ص١٦٠ .

(٢) الشكر ص١٤٠ ، وعُدَّة الصابرين ص١٣٤ .

(٣) الشكر ص١٥٩ ، وعُدَّة الصابرين ص١٣٨ .

(٤) هي مؤمنة بنت بُهلول : عابدة من عابدات بغداد ، كما جاء في أعلام النساء (٣/ ١٥١٢) .

شغل قلبي . قلت : ما هو ؟ قالت : أُريد أن أعرف نعمة الله عليَّ في طرفة عين ، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة عليّ في طرفة عين ؟! قلت لها : أنت تريدين ما لا تهتدي إليه عقولنا !! .

وقال أحمد بن أبي الحواري : قلتُ لأبي معاوية الأسود : يا أبا معاوية ، ما أعظم النعم علينا في التوحيد،نسألُ الله ألا يسلُبناه . قال : يحقّ على المنعِم أن يُتِمَّ على مَن أنعم عليه .

وقال يمان – أبو معاوية الأسود –: سمعتُ أخي سفيان الثوري يقول : ما كان الله لِيُنعم على عبد في الدنيا فيفضحه في الآخرة ، وحقّ على المنعم أن يتمَّ على مَن أنعم عليه[1] .

الشكر : أن لا تعصي اللهَ بنِعَمِه :

قال الجُنَيد : كنتُ بين يدي السريّ ألعب – وأنا ابن سبع سنين – وبينا جماعة يتكلَّمون في الشكر . فقال لي : يا غلام ، ما الشكر ؟ فقلتُ : أن لا تعصي الله بنعمه . فقال : يُوشك أن يكون حظُّك من الله لسانك . فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السريّ[2] .

شكْرُ الله على أعظم النعم : توحيده :

« عن مجاهد : ﴿ **وأسبغ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً** ﴾ . قال : لا إله إلا الله .

عن سفيان بن عيينة قال: ما أنعم الله عزَّ وجلَّ على العباد نعمة أفضل من أن عرَّفهم أن لا إله إلا الله . قال : وإن « لا إله إلا الله » لهم في الآخرة كالماء

---

(١) الشكر ص١٣٦ ، ١٣٧ .

(٢) عُدَّة الصابرين ص١٤٤ .

في الدنيا »[١] .

قال ابن القيم : « حبس السلطان رجلًا فأرسل إليه صاحبه : اشكر الله . فضُرب ، فأرسل إليه : اشكر الله . فجيء بمحبوس مجوسي مبطون ، فقُيِّد وجعل حلقة من قيده في رِجْله وحلقة في الرجل المذكور ، فكان المجوسي يقوم بالليل مرات ، فيحتاج الرجل أن يقف على رأسه حتى يفرغ ، فكتب إليه صاحبه : اشكر الله . فقال له : إلى متى تقول : اشكر الله ، وأيُّ بلاءٍ فوق هذا ؟ فقال: ولو وُضِع الزِّنَّار الذي في وسطه في وسطك، كما وُضِع القيد الذي في رِجْله في رِجْلك ماذا كُنت تصنع ؟ فاشكر الله .

ودخل رجل على سهل بن عبد الله فقال : اللصُّ دخل داري وأخذ متاعي . فقال : اشكر الله ، فلو دخل اللصُّ قلبَك – وهو الشيطان – وأفسد عليك التوحيد ، ماذا كنت تصنع ؟ »[٢] .

تمام النعمة : أن تضع رِجْلًا في الجنة :

وسئل أبو بكر بن أبي مريم : ما تمام النعمة ؟ قال : أن تضع رِجْلًا على الصراط ورِجْلًا في الجنة[٣] .

شكْر الله على البعد عن المعصية :

قال سفيان بن عيينة : عمل رجل من أهل الكوفة بخُلُقٍ دنيء ، فأعتق جاريةً له ، إذْ عافاه الله من ذلك الخُلُق .

قال : وأُمْطِر أهل مكة مطرًا تهدَّمتْ منه البيوت ، فأعتق ابن أبي رَوّاد

---

(١) الشكر لابن أبي الدنيا .

(٢) عُدَّة الصابرين ص١٤٤ – ١٤٥ .

(٣) عُدَّة الصابرين ص١٣٨ .

جاريةً له ؛ شكرًا لله إذْ عافاه الله من ذلك[١] .

ومن دقيق النعم التي تستحقُّ الشكر :

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية : « من دقيق نِعَم الله على العبد التي لا يكاد يفطن لها أنه يُغلق بابه، فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئًا من القوت ؛ ليعرِّفه نعمته عليه » .

« وقال سلام بن أبي مطيع : متى شئتَ أن ترى من النعمة عليك أكثر منها عليه ، رأيته .

قال سـلّام : إنك والله إنْ أغلقتَ عليك بابك ، جاءك من يدقّ عليك بابك يسألك ، ليعرِّفك الله نعمته عليك .

وقال سلام : دخلتُ على مريض أعوده ، فإذا هو يئنُّ ، فقلتُ له : اذكر المطروحين في الطريق ، اذكر الذين لا مأوىٰ لهم ، ولا لهم مَن يخدمهم . قال : ثم دخلتُ عليه بعد ذلك فلم أسمعه يئنُّ . قال : وجعل يقول : اذكر المطروحين في الطريق ، اذكر من لا مأوى له ، ولا له مَن يخدمه »[٢] .

ربُّك المُحْسن قديمًا وحديثًا إليك ، فأحرىٰ أن تُدْئب نفسك في أداء شكره :

«عن عبد الله بن أبي نوح قال: قال لي رجل على بعض السواحل : كم عاملتَه تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحبُّ ؟ قلتُ : ما أُحْصي ذلك كثرةً . قال : فهل قصدتَ إليه في أمر كرْبك فخَذَلَك ؟ قلت : لا والله ، ولكنه أحسن إليَّ فأعانني . قال : فهلْ سألته شيئًا قط فأعطاك ؟ قلتُ : وهل منعني شيئًا سألته ؟ ما سألتُه شيئًا قطّ إلا أعطاني ، ولا استغثتُ به إلا أغاثني . قال : أرأيت

---

(١) الشكر ص١٥٧ .

(٢) الشكر ١٣٤ - ١٣٥ .

لو أن بعض بني آدم فعل بك هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك ؟ قلت : ما كنتُ أقدر له على مكافأة ولا جزاء . قال : فربُّك أحقُّ وأحرى أن تُدئِبَ نفسك له في أداء شكر نعمته عليك ، وهو المحسن قديمًا وحديثًا إليك ، واللهِ لَشكْره أيسرُ من مكافأة عباده ؛ إنه تبارك وتعالى رضي بالحمد من العباد شُكْرًا »[(١)] .

لله على أهل النار مِنَّة :

قال ابن شوذب:قال عبد الله - يعني ابن مسعود[(٢)] رضي الله عنه -: إن لله على أهل النار مِنَّة ؛ لو شاء أن يعذِّبهم بأشدّ من النار لعذَّبهم[(٣)] .

من نِعَم الله السابغة : أن يزوي الدنيا عنك :

قال صالح بن مسمار : نعمة الله عليّ فيما زُوي عني من الدنيا ؛ أفضل من نعمته فيما أعطاني[(٤)].

قال مسعر : كان عبد الأعلى التيمي يقول : أكْثِروا سؤال الله العافية ؛ فإن المُبْتلى - وإن اشتدَّ بلاؤه - ليس بأحقّ بالدعاء من المُعافى الذي لا يأمن البلاء ، وما المُبْتَلوْن اليوم إلّا من أهل العافية بالأمس ، وما المُبْتَلون بعد اليوم إلّا من أهل العافية اليوم ، إنه رُبَّ بلاءٍ قد أجهد في الدنيا وأجزى في الآخرة ، فما يؤمن مَن أطال المقام على معصية الله ، أن يكون قد بقي له في بقية عمره من البلاء ما يجهد في الدنيا ، ويفضحه في الآخرة . ثم يقول عند ذلك : الحمد لله الذي إنْ نعدّ نِعَمَه لا نُحصيها ، وإن ندأب له عملًا لا نُحْرمها ، وإن

---

(١) الشكر ص١٣٥ - ١٣٦ ، وعُدَّة الصابرين ١٣١ - ١٣٢ .
(٢) هذا قول ابن القيم ، وأظنُّه عبد الله بن القاسم يروي عن ابن المسيب ، ويروي عنه ابن شوذب . والله تعالى أعلم .
(٣) عُدَّة الصابرين ص١٣٨ .
(٤) الشكر ١٢٨ - ١٢٩ .

نعمر فيها لا نبليها .

قال عباءة بن كُليب : كتب إليّ ابن السمَّاك : أما بعد ، فإني كتبتُ إليك وأنا مسرورٌ مستورٌ ، وأنا بهما مغرورٌ ، ذنبٌ ستره عليّ فقد طابت النفس به كأنه مغفور ، ونِعَمٌ أبلاها فأنا بها مسرور ، كأني فيها على تأدية الحقوق ، فليت شعري ما عواقب هذه الأمور ؟! .

نعمتان لا أدري أَيَّتُهما أفضل ؟

قال يونس بن عُبيد : قال رجل لأبي تميمة : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحتُ بين نعمتين لا أدري أيّتهما أفضل ؛ ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يعيِّرني بها أحد ، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي[1] .

وكتب بعض الحكماء إلى أخ له : أما بعد يا أخي ، فقد أصبح بنا من نِعَم الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه ، فما ندري أيها نشكر ؛ أجميل ما ظهر أم قبيح ما ستر ؟!! .

كان بعض العلماء يقول إذا تلا : ﴿ **وإن تَعُدُّوا نعمةَ اللهِ لا تُحصوها** ﴾ [إبراهيم : ٣٤] : سبحان مَن لم يجعل في أحد من معرفة نِعَمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها ، كما لم يجعل في أحد من إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه ؛ فجعل معرفة نعمه بالتقصير عن معرفتها شكرًا ، كما شكر علم العالمين أنهم لا يدركونه فجعله إيمانًا ، علمًا منه أن العباد لا يتجاوزون عن ذلك .

عالي الهمَّة يَجِدُّ في شكْر الشكور ولا يفْتُر :

قال القشيري : « من آداب من عرف أنه عز وجل الشكور أن يجِدَّ في شكره ولا يفتُر ، ويواظب على حمده ولا يقصر .

(١) الشكر ص١٢٨ ، وعُدَّة الصابرين ص١١٩ .

والشكر على أقسام : بالبدن : وهو أن لا تستعمل جوارحك في غير طاعته ، وشكْرٌ بالقلب: وهو ألّا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته ، وشكْرٌ باللسان : وهو أن لا تستعمله في غير ثنائه ومدحه ، وشكْرٌ بالمال : وهو ألّا تنفقه في غير رضاه ومحبّته »[(١)] .

من منازل الشكر :

« يقال : الشكر ثلاث منازل : لمن فوقك بالطاعة ، ولنظيرك بالمكافأة ، ولمن دونك بالإفضال عليه »[(٢)] .

قال الجنيد : « الشكر : أن لا ترى نفسك أهلًا للنِّعمة »[(٣)] .

« قيل : خمسة أشياء ضائعة ؛ سراجٌ يُوقد في شمس ، ومطرٌ جَوْد في سبخة ، وحسناء تُزفّ إلى عِنّين ، وطعامٌ استُجيد وقُدِّم إلى سكران ، ومعروف صُنع إلى مَن لا شكر له »[(٤)] .

وقال بعض الحكماء : « من أُعطي أربعًا ، لم يُمنع أربعًا : مَن أُعطي الشكر ؛ لم يُمنع المزيد . ومَن أُعطي التوبة ؛ لم يُمنع القبول . ومَن أُعطي الاستخارة ؛ لم يُمنع الخِيَرة . ومَن أُعطي المشورة ؛ لم يُمنع الصواب » .

عن معاذ أن رسول الله ﷺ أتى على رجل وهو يقول : اللهم إني أسألك تمام النعمة . فقال : « يا ابن آدم ، وهل تدري ما تمام النعمة ؟ » . قال : يا رسول الله ، دعوةٌ دعوتُ بها أرجو بها خيرًا . فقال : « إن من تمام النعمة

(١) التحبير في التذكير للقشيري ص٥٨ ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/١٦٧ .
(٣) طبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٦٦ .
(٤) عيون الأخبار ٣/١٦٩ .

فوزًا من النار ، ودخولًا إلى الجنة »[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فبدا له الفجر قال : « سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا فأفْضِل علينا ، عائذًا بالله من النار » . يقول ذلك ثلاث مرات ، ويرفع بها صوته[٢] .

وعن ابن غنام – عبد الله – عن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يُصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ؛ إلّا أدّى شكر ذلك اليوم »[٣] .

علو همّة الجن في الشكر :

قال رسول الله ﷺ للصحابة : « لمَّا قرأتُها – يعني سورة الرحمن – على الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مردودًا منكم ؛ كنتُ كلما أتيتُ على قوله : ﴿ **فبأي آلاء ربِّكما تُكذِّبان** ﴾ . قالوا : ولا بشيءٍ من نِعَمِك ربّنا نُكَذِّبُ ، فلك الحمد »[٤] .

---

(١) حسن : رواه أحمد في المسند ، والترمذي رقم (٣٥٢٤) في الدعوات باب رقم (٩٩) ، وحسَّنه عبد القادر الأرناؤوط في تخريج كتاب الشكر لابن أبي الدنيا ص١٤٣ .

(٢) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك ، وصحَّحه ووافقه الذهبي ، ورواه مسلم في صحيحه دون قوله : « يقول ذلك ثلاث مرات ، يرفع بها صوته » . ورواه أبو داود في الأدب .

(٣) حديث حسن : أخرجه أبو داود ، وابن حبان في صحيحه ، والنسائي في الكبرى ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، وابن أبي الدنيا في الشكر واللفظ له ، وقال ابن علان في « الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية » ٣ / ١٠٧ : « قال الحافظ ابن حجر : حديث حسن » .

(٤) صحيح : رواه ابن ماجه عن أنس ، ورواه ابن السني ، والخرائطي ، والضياء في المختارة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٥٦٣) .

قال الثوري : ما أنعم الله على عبد في حاجة أكثر من تضرُّعه إليه فيها .

وقال أبو حازم : نعم الله فيما زُوي عني من الدنيا ، أعظم من نعمته فيما أعطاني منها .

وقال ﷺ : « ما أنعم الله على عبْدٍ نعمة فقال : الحمد لله . إلّا كان الذي أعطي ، أفضل مما أخذ »(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها ؛ إلّا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة »(٢).

وعن عبد الله بن محصن قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن أصبح منكم آمنًا في سِرْبه ، معافًى في جسده ، عنده قوت يومه ؛ فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها »(٣).

عن أبي علي قال : كنتُ أسمع جارًا لي يقول في الليل : « اللهم خيرك إليَّ نازل، وشرِّي إليك صاعد، وكم من ملك كريم قد صعِد إليك بعملٍ قبيح . أنت مع غناك عني تتحبَّب إليَّ بالنعم ، وأنا مع فقري إليك وفاقتي أتمقَّتُ إليك بالمعاصي ، وأنت في ذلك تجيرني وتستُرني وترزقُني » .

عن أبي الحجراء قال : كنا ندخل على المغيرة – أبي محمد – فنقول :

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجه عن أنس ، ورواه ابن السني والخرائطي والضياء ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٥٦٣) .

(٢) حسن : رواه ابن السني ، والخرائطي ، والضياء عن أنس ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٥٦٢) .

(٣) حسن : رواه البخاري في الأدب المفرد ، والترمذي ، وابن ماجه ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠٤٢) .

كيف أصبحتَ يا أبا محمد ؟ قال : أصبحنا مُغْرَقين في النعم مقَصِّرين في الشكر ، يتحبَّب إلينا ربُّنا عز وجل وهو غنيٌّ عنا ، ونتمقَّت إليه ونحن إليه محتاجون .

عن سفيان قال : كان يقال : ليس بفقيه مَن لم يعدَّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة .

عن أبي يحيى الباهلي قال : قال لي سليمان التيمي : إن الله أنعمَ على العباد على قدره ، وكلَّفهم الشكرَ على قَدْرهم .

عن خالد بن معدان قال : « سمعتُ عبد الملك بن مروان يقول : ما قال عبدٌ كلمة أحبّ إليه ، وأبلغ في الشكر عنده من أن يقول : الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا إلى الإسلام » .

أنشد أحمد بن موسى الثقفي :

وكم من مدخلٍ لو متُّ فيه ... لكنتُ به نكالًا في العشيرهْ
وُقِيتُ السوءَ والمكروهَ فيه ... ورُحتُ بنعمةٍ فيه سَتِيرَهْ
وكم من نعمةٍ لله تُمسي ... وتُصبح ليس تعرفها كبيرهْ

قال ابن المنكدر لأبي حازم : ما أكثر مَن يلقاني فيدعو لي بالخير ، ما أعرفُهم ، وما صنعتُ إليهم خيرًا قطّ !! فقال له أبو حازم : لا تَظنَّ أن ذلك من قِبَلك ، ولكن انظر إلى الذي جاءك ذاك من قِبَلِه فاشكُرْه . وقرأ ابن زيد : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سَيجعلُ لهم الرحمنُ وُدًّا** ﴾ . [مريم : ٩٦] .

مِن جميل الصبر وجليل الشكر :

دخل ابن عروة بن الزبير اصطبله ، فَرَفَسَتْهُ دابَّةٌ فقتلته ، فما سُمع من عروة في ذلك شيءٌ حتى قدم المدينة فقال : « اللهم إنه كان لي أطرافٌ أربعة

أخذت واحدًا وأبقيتَ لي ثلاثة فلك الحمد ، وكان لي بنون أربعة فأخذتَ واحدًا وأبقيتَ لي ثلاثة فلك الحمد ؛ وأيم الله لئن أخذتَ لقد أبقيت ، وإن ابتليتَ لطالما عافيتَ ، وأبقيت لنا فيك الأمل يا بَرُّ يا وصول » .

محارب بن دثار قاضي الكوفة عالي الهمَّة في الشكر :

عن عنبسة بن الأزهر قال : كان محارب بن دثار - قاضي أهل الكوفة - قريب الجوار مني ، فربما سمعتُه في بعض الليل يقول ويرفع صوته : « أنا الصغير الذي ربَّيته فلك الحمد ، وأنا الضعيف الذي قوَّيته فلك الحمد ، وأنا الفقير الذي أغنيتَه فلك الحمد ، وأنا الغريب الذي وصَّيته فلك الحمد ، وأنا الصُّعلوك الذي موَّلْته فلك الحمد ، وأنا العزب الذي زوَّجته فلك الحمد ، وأنا الساغب[1] الذي أسبغته فلك الحمد ، وأنا العاري الذي كسْوته فلك الحمد ، وأنا المسافر الذي صاحبته فلك الحمد ، وأنا الغائب الذي أدَّيته فلك الحمد ، وأنا الراجل الذي حملته فلك الحمد ، وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد ، وأنا السائل الذي أعطيته فلك الحمد ، وأنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد ؛ فلك الحمد ربَّنا ، حمدًا كثيرًا على حمدي لك »[2].

* * *

---

(١) الجائع .

(٢) الشكر ص١٦٦ .